

تقديم

قد نظن أن كل شيء قيل بمجرد أن ننطق بلفظة عائلة و كأنها كلمة سحرية ينبجس لها واقع عجيب. في الواقع، نحن نمنع أنفسنا من التفكير في أمور كثيرة إذعانا لوهم عميق التحدر في "اللاوعي الدلالي"¹ وهم صقله بعمق الخطاب السياسي الذي يهدف إلى جعله النموذج للعلاقات الإجتماعية.

واقع العائلة أقل سحرية مما نظنه. إنه لا يمتّ بصلة إلى الصورة المعطاة عنه؛ صورة الإستقرار و التضامن، صورة الوئام و السعادة الخاصة. كثيرا ما نتناسى أن العائلة مؤسسة اجتماعية على غرار المؤسسات الإجتماعية الأخرى و لو أنها تتميز عنها، إلا أنها تفعل و تتفاعل مع محيطها تبعا لمصالحها و لتاريخها الخاص. إننا نميل إلى اعتبارها حدثا طبيعيا يستمدّ وظائفه و مكانته من إرادة تكاد تكون إلهية و ليس من علاقاته مع المجتمع.

تصبو المقالات التي جمعها فوزي عادل إلى إبراز كيف أن العائلة موضوع متميز مفيدُ التفكير حوله، و هذا على الرغم من اختلاف موضوعاتها و طموحاتها.

حسبنا العائلة -لأنها كانت أحد أقوى الجذور الإنتمائية- خارج نطاق التاريخ، إلا أن الملاحظة أثبتت أنها كانت سريعة التطور، على الأقل خلال العشريّات الثلاث الأخيرة.

باستثناء الهزة الديمغرافية التي زعزعت كثيرا من الأمور و أولها العلاقات بين الأجيال، لم يعد لنموذج عائلي وحيث وجود لصالح نماذج عديدة متعايشة.

¹ BOURDIEU, P. - Stratégies de reproduction et modes de domination.- Actes de la Recherche en sciences sociales, n°105, 1994.

أصبحت ظاهرة التمييز والتفريق ضمن الأسرة حقيقة قائمة، جَراء
هجرة قوية و تفريد الدخل، أكثر من هذا، فإن مكنزمات إعادة إنتاج
العائلة أصيبت باضطراب، و أصبح الإرث العائلي غير جامع بل على
العكس من ذلك، فإن الطمع الذي يثيره يساهم في تشتت العائلة
الواحدة.

يبقى الصداق الذي تعطينا عائشة غطاس صورة عما كان عليه
بالأمس، علامة لتطور كل من العائلة و مكانة المرأة في المجتمع.
أما شفيقة معروف فتطرحة من منظور وضع المرأة الآن و في صلة مع
قانون الأسرة الذي يبدو متخلفا بالنسبة إلى الرسالة القرآنية. و لأن
مجتمعنا يسير على نموذج جامد للمرأة، فإن النساء العاملات يعشن
صعوبات في الاندماج الإجتماعي (حلومة شريف).

يوجد الزواج - و هو لحظة أساسية لإعادة الإنتاج و لبناء الرابطة
الإجتماعية - في أزمة (فوزي عادل). إنطلاقا من عقود زواج أثبتت في
القرن الثامن عشر، توضح فاطمة الزهراء قشي السير الإجتماعي
للمصاهرات. أما طقس ليلة الدُّخلة كما تمارسه الأوساط القروية، فيعرف
تطورا (فوزي عادل). بالنسبة لجاكولين دي فور) تكون وفيات الأمهات
الواضعات دلالة لمدى الاستفادة من التمريض و لعوامل سسيوثقافية.
يتساءل محمد سعيدي ماذا عن التقاليد و العادات العائلية بتلمسان. لم
تعد الزيجات على ما كانت عليه من حيث سهولة عقدها و سن الزواج،
و تشير التحقيقات إلى أن ولوج مغامرة الزواج أصبح يتم بتأناً، و
هذا وعيا بالمخاطر التي تحيط بالتزام مثل هذا. تبرز الاستراتيجيات
الزيجية التي تتبناها الجامعيات (حميد آيت عمارة) أن النساء يسيجن
أنفسهن بكل الضمانات قبل اتخاذ القرار الخطير، على الرغم من أنهن
الاوليات الاثني يعانين من العزوبة. في الواقع، فإن شبح الطلاق هو الذي
يضيف على الزواج - من وجهة نظر نسوية - مخرجا غير واضح.

أخيراً يشير المثال الصحراوي إلى التحولات العميقة التي يمكن أن تطرأ على عائلة تقليدية في وضعية استثنائية. يسمح تفصل إشكاليتي العائلة و السكن بتحليل عملية تمهيكها (شريف حجيج).
في الأخير، تشترك هذه المقالات في كونها لا تطمح أن تكون حوصلة، بل نقطة إنطلاق لأبحاث أخرى.